الشبهة الثامنة عشرة
أُمّية أبى هريرة، وتأخر إسلامه

من كره شيئا كره كل ماله صلة به، ويكون أكثرهم صلة بذلك الشئ المكروه أكثرهم كرها عند الكاره لذلك الشئ، هذا طبع مغروز فى النفس البشرية، وما بالطبع لا يتخلف.

وأبو هريرة رضى الله عنه أكثر أصحاب رسول الله ﷺ رواية للحديث النبوى سماعا مباشراً من فم النبى الصادق المصدوق (روى أكثر من خمسة آلاف حديث) ومنكرو السنة يكرهون حديث رسول الله ﷺ - لذلك كان الصحابى الجليل أبو هريرة أكثر الرواة كراهية عندهم، لأنه نقل من السلاح الذى يرهبونه خمسة آلاف قذيفة، وتزيد. فأخذوا يصوبون سهامهم نحو هذا الرجل العظيم كى يصيبوه فى مقتل، ويبطلوا بإصابته مفعول القذائف التى يحملها.

وكان قصارى ما وجهوه إليه من عيوب:

- أنه كان أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب.
- إن إسلامه تأخر إلى ما بعد خيبر فى العام السابع الهجرى.
- أنه كان عرضة لطعن الصحابة فيه، وردهم لروايته.
- أنه «وضَّاعٌ» للحديث عن رسول الله ﷺ.
- أنه كان مريضا بالصرع، خفيف العقل؟!.

والهدف من هذه الانتقاصات - عندهم - إسقاط أكثر الرواة سماعا عن النبى - عليه السلام - ليسرى هذا «الإسقاط» من الراوى إلى «المروى» وهو المطلوب.

تفنيد هذه الشبهة ونقضها:

كان أول سهام النقد والطعن فى أبى هريرة هم المستشرقون وبخاصة جولد

زيهر اليهودى الأصل. ثم نحا نحوه الأستاذ أحمد أمين فى كتابه «فجر الإسلام» فى المبحث الذى كتبه عن الحديث النبوى ثم أبو رية فى كتابه «أضواء على السنة المحمدية، ثم حملة الأقلام المأجورة التى تكتب فى الصحف (الجديدة) والمجلات فى هذه الأيام فى ظل النظام العالمى الجديد (العولمة) الذى ترعاه أمريكا وحلفاؤها ونسير فى تفنيد هذه الشبهة ونقضها على الركائز الآتية:

ما ذكروه من أمية أبى هريرة، ليس نقصا فى الرجل، فقد كانت الأمية هى طابع العرب قبل الإسلام، واستمر وجودها بعد الإسلام إلى فترة ما وهذه الأمية كانت من تدبير الله الحكيم لأمرين:

الأول: اعتماد العرب على الذاكرة، فبلغوا فى الحفظ الذهنى لبعض المعارف كالأنساب، والشعر، وأيام العرب مبلغا لم تبلغه أمة سواهم، لأن الحفظ الذهنى كان وسيلتهم الغالبة على ضبط واستحضار ما يحتاجون إليه فى حياتهم، والملكات النفسية تنمو بالممارسة.

ولو كان العرب يقرأون ويكتبون لضعفت عندهم هذه الملكة، والشواهد على ذلك كثيرة.

فمن يتعود القراءة بالنظارة يعجز عن قراءة كلمة واحدة بدونها، والذى يتعاطى مهدئا لينام ويصبح له هذا التعاطى عادة، لا يذوق النوم بدونه مهما طال السهر.

والذى لا ينتقل أبداً إلا بركوب السيارة يعجز عن السير على قدميه أو يعانى من المشى مهما كان جسمه قويا.

إن العرب كانت موهبتهم (المعروفة) هى قوة الذاكرة والحفظ، فكانوا خزائن معرفة تتحرك على الأرض.

الثانى: وفى تلك الأمية خدمة لقضية الإعجاز القرآنى، وقطع لألسنة الحقد، إذ لو كان العرب يقرأون ويكتبون لكان لقول خصوم الدعوة فى تحديد

مصدر بشرى للقرآن «إنما يعلمه بشر» شبهة تقوى هذا الزعم؛ لأن نبوغ فرد من أمة ذات حضارة علمية ظاهرة لا ينازع فيه، فقد أراد الله عز وجل أن يهيئ الأسباب لتلك الأمة الأمية فيعلم هو واحداً منهم ليعلمهم مما علمه الله.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]

لقد أراد الله لهذه الأمة التى أخرجها من العدم خير أمة للناس أراد أن يكون هو معلمها ومعلم رسولها ، فلم تكن أمة ذات حضارة موروثة عن الآباء والأجداد ، بل أمة وليدة ، ولدت معها حضارتها السامية بوحى من السماء ، لا من مناجم الأرض وكنوزها .

أمة هى معجزة لله وحده فى تعليمها وتزكيتها ، إنها من صُنْع الله لا من صنع أحد سواه :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

وأمية أبى هريرة أعلم من حملة الدرجات العلمية الحديثة وإن بلغوا الذرة فى معارف العصر ، التى إن رفعت الجهل عن حامها من جانب ، لن ترفع «الجهالة» عنه من عدة جوانب .

وما الذى يعيب أبا هريرة وقد وهبه الله ذاكرة واعية حافظة استوعبت خمسة آلاف حديث ، وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا وقد رزقه الله روحا فقهية مع هذا الكم الهائل من مصابيح الهدى النبوى .

● أما تأخر إسلامه فلا عيب فيه ، العيب كان ألا يُسلم ، وقد أسلم وحسن إسلامه ، فكان من شيوخ العلم وشيوخ العبادة فى آن واحد ، كريم القلب واليد مع قلة ما كان يملك . والله عز وجل يقبل التوبة المخلصة من عباده فى أي حين تصعد تلك التوبة إلى الله .

وبإسلام أبى هريرة بدَّل الله كل سيئاته حال كفره حسنات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو القائل فى محكم كتابه :

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

وهم يستكثرون أن يروى أبو هريرة عن الرسول هذا القدر من الحديث فى أربع سنوات فقط صاحبه فيها ، ويريدون من هذا أن يقولوا : إنه نسب إلى النبى ما لم يقله أو يسمعه منه، ومنكرو السنة ، حين يتهمون أبا هريرة هذا الاتهام ، يفصلون أنفسهم عن الواقع المعروف فى حياة أبى هريرة ، فكان الرجل مصاحبا لرسول الله خارج بيوته ، حريصًا على السماع منه بل كان ملازما له ، لأنه كان فقيراً لا يملك قوت يومه ، وكان فى ملازمته للرسول ﷺ مخرج له من الحرمان والجوع .

على أن هذه الكثرة المروية عن أبى هريرة من حديث النبي ﷺ إذا قوبلت بعدد أيام السنين الأربع التى عاشها مسلما فى صحبة النبى كان متوسط اليوم الواحد أربعة أحاديث ، وليس فى هذا غرابة يلام عليها أبو هريرة ، ويتهم بالكذب على رسول الله الكريم من أجلها .

● ولم يكن أبو هريرة عرضة لطعن الصحابة فيه ، ولا رد حديثه أحدٌ منهم، كما يدعى المستشرقون وأذيالهم من منكرى السنة فى مصر الآن ، بل إن هؤلاء الصحابة الكرام ، أكثروا من الثناء على أبى هريرة ، وقالوا فيه ما لم يقولوه فى أحد سواه .

قال طلحة بن عبيد الله : « لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع » .

وقال ابن عباس : « أبو هريرة خير منى وأعلم بما يحدث »

وقال الإمام الشافعى : « أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره » .

وقال الحاكم : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ .

وقد روى أبو هريرة ما لم يسمعه هو من رسول الله عن كبار الصحابة كأبى بكر وعمر ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد رضى الله عنهم وروى عنه من الصحابة جماعة . منهم ابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهم . وجملة من روى عنه من الصحابة والتابعين ثمانمائة راوٍ .

فهو – إذن – موضع إجلال وتقدير من الصحابة والتابعين معًا فهل يكون رجل هذه منزلته عند خير رجالات الرعيل الأول موضع طعن وريبة ؟

ومن أين استقى المستشرقون هذه المعلومات عن أبى هريرة ، ولم تكن لهم مراجع غير المراجع العربية الإسلامية ، ولم تخْلُ هذه المراجع من الطعن فى أبى هريرة فحسب ، بل هى عامرة بالثناء عليه ، وعلى دوره فى رواية الحديث النيوى أليس هذا هو الكذب الصريح ؟

وإذا كان للمستشرقين عذر فى حقدهم على أبى هريرة ، لأنهم خصوم الداء للإسلام . فكيف يكون العذر لمن يدعون أنهم حماة الإسلام ، الغيورون عليه ، الحريصون على تنقيته من الفكر الخرافى الزائف .

وإذا كانوا يرون السنة فكرا خرافيا فعليهم أن يعلنوا عما فى بواطنهم صراحة ويريحونا ويريحوا أنفسهم من اللت والعجن ، واللف والدوران ؟!

● أما رد حديث أبى هريرة من إخوانه الصحابة فلم يحدث قط ، وما حدث من عبد الله بن عمر ، وابن عباس فى مراجعة أبي هريرة ظاهرة طيبة تحمد للصحابة فهم يتذاكرون الحديث ، ويذكر الحافظ الناسى، واليقظ الغافل .

وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه راجعه مرة ، فذكر له أبو هريرة حديث رسول الله ﷺ :

« من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فأذن له عمر بالتحديث عن رسول الله ﷺ .

وما يروى من منعه أو ضربه على كثرة التحديث فهذا لا يثبت ، وخصوم أبو هريرة القدامى أهل للتزيد عليه ، وخصومه المعاصرون أشد إغراما فى الحط من قدره من أسلافهم الأقدمين .

ونضيف إلي ما تقدم أن لا غرابة فى حفظ أبى هريرة لخمسة آلاف حديث عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الرسول أوتى جوامع الكلم ، وأحاديثه قصيرة المبنى غزيرة المعنى . فقد يكون الحديث جملة واحدة ، مثل «لا تغضب» أو جملتين مثل : «اعقلها وتوكل» . وبعضها متوسط الطول ، وقليلها طويل ، ومحفوظ أبى هريرة جمع بين المستويات الثلاثة إلى ما فى الحديث من نور النبوة وبلاغة الكلام التى تجعل حفظه ميسوراً .

● أما اتهام أبي هريرة بالصرع وخفة العقل، فهذا رجم بالغيب ، ووسوسة شيطان ، ليس لها من الواقع سند ، وإن وضعوا الأرض موضع السماء، فهل جولد زيهر ومنكرو السنة المعاصرون عاصروا الرجل، فرأوه يصرع ويهذى ويبهلل كما يبهللون هم الآن ؟

هل حملوه فى نوبات الصرع وذهبوا به إلى مصحة ، وأوقعوا عليه الكشف الطبى وفحصوه ، فوجدوه مصابا بالصرع وخفة العقل ؟

إن المعروف أن أبا هريرة كان كثيراً ما يتلوى من الجوع ، ويصيبه دوار طارئ – كما تحدث هو عن نفسه – فإذا طعم عاد إليه وعيه وشدة توقده الذهنى .

استسمن المستشرقون ورم هذه الرواية فكبروها وهوّلوا من شانها ، وجعلوها صرعا قاتلا ، وخفة عقل مزرية .

ولا عجب ، فقد رمى المبشرون وتلامذتهم المستشرقون من هو أعلى مقاما، وأجل شانا من أبي هريرة بهذه العيوب ؟

رموا بها النبى الكريم ﷺ ، حين كان يأتيه الوحى من السماء فيقبل عليه بكل مشاعره وحواسه ليتلقى القرآن من لدن حكيم حميد .

فإذا انقضى الوحى عاد فأملى من حوله من كتبة الوحى ما أنزله عليه ربه .

فبم فسر المبشرون والمستشرقون هذه الحالة ؟ فسروها بالصرع أو المرض العضوى الذى يصيب بعض الناس فيفقدهم الوعى الظاهر والباطن ، أو الوعى الخارجى والداخلى . هذا ما قالوه فى شأن صاحب الرسالة العظمى . [ينظر : الظاهرة القرآنية لمالك بن نبى] .

ونسأل منكرى السنة : هل أنتم مع المستشرقين فى وصف محمد ﷺ بالصرع ؟ إن كنتم معهم فلا كلام لنا معكم وإن كنتم لستم معهم فكذلك ينبغى أن تكونوا فى تبرئة أبي هريرة . وإنه لمطلب عزيز المنال ؟

* * *

obeikandl.com